تخطيط الثغور الإسْلامية وتحصينها في ساحل البحر المتوسط
مدينة المهدية أنموذجاً ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م

د. مي السيد السيد محمد
باحثــة

الملخص:

مَثَّلَت البحار في تاريخ الحضارة أداة وصل حربًا وسلمًا ،وليس أدل على ذلك من حوضِ البحر المتوسط البؤرة الزاخرة للإشعاع الحضاري ؛ فعلى جنباته نهضت العديد من الحضارات ، ورغم اختلاف طبيعة الأقاليمُ المطلة على حوض البحر المتوسط إلاَ أنه مَثَّلَ نقطة التقاء سواحل أوروبا الكثيرة الجزر وأشباه الجزر الجبلية الوعرة ،وسواحل أسيا الجبلية الكثيرة التعاريج ،وسواحل أفريقيا الرملية القليلة الغور والخلجان وأشباه الجزر وساهمت طبيعة سواحل البحر المتوسط في أنشاء مدن ثغرية وتحصينها بعد أن بدأ المجتمع الإسْلامي الاشتراك في حياة وأحداث البحر المتوسط وأمتلك القوة على الابتكارِ فيه .

وعُدَ نموذج مدنية المهدية بموقعها الدفاعي حصنًا بحريًا منتصبًا وسط الساحل الافريقي متحديًا الطبيعة والأَساطيلُ البيزنطية والاموية ومتأهبًا لصدَ كلَ تمرد بالمغربِ وأفريقية ؛ وقلما وجدنا في التاريخ الإسْلامي مدينة قامت بدور مهم بحفاظها على دولة مؤسسها وتوجيهها لتاريخها كثغر المهدية ،وقد اِنعَكَسَتْ هذه الصبغة الحربية والثغرية على عمارة مدينة المهدية وأمتزجت بملامح عقائدية بدت واضحة من خلال دراسة تخطيط المدينة والأَلْيَاتٌ المنتهجة لتحصينها في ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م .

تُلقي الدراسة الضوء على مدينة المهدية كثغر بحري مهمته الدفاع عن حدودِ الدولة الفاطمية الشيعية التى نشأت في قلب الاِمْتِدادُ السني وحمايتها من الأَخطار الخارجية ،وكعاصمة ملكية للفاطميين وخط الدفاع الثاني ومصدر إمداد الثغر ،وبؤرة لإنطلاق الحملات العسكرية ومركزًا لجمع المعلومات والتفاصيل عن بلاد الاعداء ،بالإضافة الي كونها ميدان للتأثير والتأثر في مجالات الحياة المتعددة ، وتهدف إلي التعريف بالثغور وأهميتها،

وأظهار الأدوار التى أدتها الثغور من الناحية السياسية والعسكرية والأمنية ،وبيان دور الدولة الفاطمية لتعزيز الصبغة الدفاعية لمدينة المهدية ومن ثم اِتَسمَهَا بصبغة وظيفية عملية .

ويتناول البحث هذه الدراسة في عدة مباحث ؛ يتعرض المبحث الأول : إلى أهمية ودواعي أنشاء الثغور عند المسلمين ،وأختيار موقع وتحديد موضع ثغر المهدية في ضوء عدة أعتبارات أهمها تأثير طبيعة حوض البحر المتوسط و تضاريس قاعه على أختيار موقع مدينة المهدية ،وتغير المفاهيم التى حكمت أختيار مواضع مدن الأمصار؛ بينما يستعرض المبحث الثاني: أنشاء المدينة الملكية وفق رؤية عمرانية ومعمارية عسكرية حربية أتضحت في طريقة أقامة الأسوار وما يتخللها من أبواب وأبراج وأحاطتها بفصيل(خندق) زيادة في تأمينها ٣٣٣هـ/٩٤٤م ، أما المبحث الثالث : فيتناول منشأت مدينة المهدية الدينية،والمدنية ذات الصبغة الدفاعية وأثر ذلك على تخطيط المدينة في ضوء أنماط مخططات المدن الإسْلامية.

و يختم البحث بأهم النتائج والتوصيات ...

Summary:

In the history of civilization, the seas have represented a tool that connected war and peace, and the most evident of that is the Mediterranean basin, the abundant focus of civilization radiation. On its flanks many civilizations arose, and despite the different nature of the regions bordering the Mediterranean basin, it represented the meeting point of the coasts of Europe’s many islands and rugged mountainous islands, and the mountainous coasts of Asia with many meanders, and Africa’s sandy coasts with few gorges, bays and peninsulas. The nature of the Mediterranean coasts contributed In establishing and fortifying wealthy cities after the Islamic society began to participate in the life and events of the Mediterranean and

had the power to innovate in it. He considered the model of Mahdia, with its defensive location, a naval fortress in the middle of the African coast, defying nature and the

Byzantine and Umayyad fleets, and preparing to repel all rebellions in Morocco and Africa Rarely did we find in Islamic history a city that played an important role in preserving the state of its founder and directing it to its history, such as the gap of Mahdia, and this warlike character and loophole were reflected on the architecture of the city of Mahdia and mixed with ideological features that were clear through studying the city's planning and the mechanisms used to fortify it in 308 AH / 920 CE. The study sheds light on the city of Mahdia as a maritime outpost whose mission is to defend the borders of the Shiite Fatimid state that arose in the heart of the Sunni expansion and protect it from external dangers, and as the royal capital of the Fatimids and the second defense line and source of supply of the loophole, and a focal point for launching military campaigns and a center for collecting information and details on the countries of enemies, in addition to It is a field of influence and influence in the various fields of life, and aims to introduce the outposts and their importance, to show the roles played by the outposts in terms of politics, military and security, and to clarify the role of the Fatimid state to strengthen the defensive character of the city of Mahdia, and then characterized it with a

functional and practical nature. The research deals with this study in several sections: The first topic deals with the importance and reasons for establishing the stomata for Muslims, choosing a site and determining the location of the Mahdia gap in light of several considerations, the most important of which is the effect of the nature of the Mediterranean basin and the topography of its floor on the choice of the location of the city of Mahdia, and the change of concepts that governed the choice of locations for cities in the cities. While the second section reviews the establishment of the royal city according to an urban and military vision that became clear in the way the walls were erected and the doors and towers interspersed and surrounded by a (trench) faction, an increase in its security 333 AH / 944 CE, while the third section deals with the religious and civil facilities of the city of Mahdia of a defensive character and its impact on City planning in light of the patterns of Islamic city plans

تمهيد :

أدرك الفاطميون أهمية بلاد المغرب ،وتمكنوا من التغلب على الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية فيها ؛ وهم بنو مدرار في سجلماسه ١٤٠-٢٩٧ هـ/٧٥٧ – ٩١٠ م[١]، والرستميون في تاهرت ١٦١-٢٩٦هـ/ ٧٧٩ – ٩٠٩ م [٢] ،والأدراسة في المغرب الأقصى ١٧٢- ٣٠٥هـ/ ٧٨٨ – ٩١٧ م[٣]،والأغالبة في تونس ١٨٤-٢٩٦ هـ/ ٨٠٠ – ٩٠٩ م[٤]،وبتولي الخليفة عبيد الله المهدي[٥]تخلت قبيلة كتامه عن تأييدها للفاطميين فضلًا عن تصدي فقهاء السنة في القيروان لمذهب وأفكار الفاطميين والتي كانت تخالف مذهبهم وأفكارهم .

أقام الخليفة عبيد الله المهدي في بداية حكمه بمدينة رقادة[٦] أُولى حواضر الفاطميين في بلاد المغرب وجعل منها حصن يأوي إليه عندما يشعر بالخطر وهو بالفعل ماحدث

---

[١] **عبد الحميد**، سعد زغلول ،١٩٧٩، تاريخ المغرب العربي ،ج٢، منشأة المعارف ، الإسكندرية : ص ٤١١.

[٢] نفس المصدر ، ص ٢٨٩ .

[٣] تنسب دولة الأدراسة إلي إدريس بن عبد الله ؛الفار إلي المغرب الأقصى عقب موقعة فخ ١٦٩هـ/ ٧٨٧ م على بعد ثلاثة أميال من مدينة مكه المكرمه ، للاستزادة راجع **المسعودي** (ابو الحسن بن الحسين بن علي ٢٨٣-٣٤٥هـ / ٨٩٦- ٩٥٦ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٣،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الفكر ،بيروت ، د.ت ، ص ٣٣٦ ، **ابن الأثير**، (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ٥٥٥-٦٣٠ هـ/ ١٢٣٩ م)1978م ، الكامل في التاريخ ،ج٥، دار الفكر ، بيروت : ص ٧٠ ، **ابن أبي زرع** (أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي، ت. ٧٢٦هـ) ، ١٩٧٧م ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، الرباط : ص ١٦ .

[٤] تُنسب دولة الأغالبة إلي إبراهيم بن الأغلب الذي كان واليًا على أقليم الزاب من قبل والي المغرب العباسي محمد بن مقاتل العكي ،راجع ؛**ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد ابن خَلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ت 732 هـ – ١٣٣٢ م)١٩٧٩م ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،ج٤، بيروت: ص ١٩٥ .

[٥] هو عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم وُلِدَ بسليمه ٢٦٠هـ/٨٧٣-٨٧٤م ،**ابن حماد** (محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي أَبو عبد الله ٦٢٨هـ – ١٢٣٠م) (د. ت) ،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق عبد الحليم عويس وأخرين ، دار العلوم ،الرياض: ص ٣٥ .

[٦] أسسها إبراهيم بن أحمدالأغلبي ٢٦١هـ/٨٧٤-٨٧٥م تبعد عن القيروان أربعة أميال ، **البكري**(ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن عمرو ٤٠٤ – ٤٨٧هـ/ ١٠١٤- ١٠٩٤ م) ،المغرب في ذكر بلاد=

أثناء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد [١]؛والذي سَبَبَ متاعب كثيرة للدولة الفاطمية ،مما دعى الخليفة المهدي إلي تأسيس ثغر المهدية لتصبح حاضرة لدولته لحصانةِ موضعها ؛ومن ثم حقق الخليفة أغراضه الدفاعية ،الحربية ،السياسية والدينية بإتخاد ثغر المهدية مقَّر له، وعاصمة لملكِه.

١- أهمية ودواعي إنشاء الثغور عند المسلمين :

١-١ تعريف الثغور لغة وأصطلاحًا :

الثغور لغة جمع مفردها ثغر، وهي كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك[٢]، والثغرة تعني الثلمة، يقال :ثغرناهم أي سددنا عليهم الثلم، والثغر هو المكان الذي يلي دار الحرب ؛ أما الثغور اصطلاحًا فالثغر، بالفتح ثم بالسكون، وهو كل موقع قريب من

=إفريقيه والمغرب ،مكتبة المثنى، بغداد،١٨٥٧،ص ٢٧ ،**الحموي** (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ت ٥٧٤ – ٦٢٦ هـ)١٩٧٩م ،معجم البلدان ، ج٣، دار صادر ، بيروت: ص ٥٥، **مجهول** (من أهل القرن السادس الهجري) ١٩٥٨ م،الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد ، جامعة الإسكندرية ، ص ١١٦ .

[١] أبو يزيد مخلد ين كيداد النكاري من قبيلة زناته القاطنة في توزر ،عمل والده في التجارة ببلاد السودان ورحل إلي تاهرت وسكن فيها ،وأشتغل بتعليم الصبيان في أحدى الكتاتيب وألتف حوله أتباع عظموه وفتح عدة مدن منها رقادة والقيروان ، **ابن الأثير** ،الكامل في التاريخ ،ج٦ ، ص ص ٣٠٢-٣٠٩ ، **المقريزي**،(أبو العباس الحسيني العبيدي،تقي الدين المقريزي، ت ٨٤٥هـ) ١٩٤٧ م،أتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء،ج١، تحقيق : جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربي، القاهرة : ص ص ١٠٩- ١٢٤ .

[٢] **ابن منظور**،(محمد بن مكرم بن علي أبوالفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت ٧١١ هـ) ١٤١٤ هـ، لسان العرب ، ط.٣، ج٤ ، دار صادر ، بيروت : ص ١٠٣ ، وأيضًا يوصف الفم بالثغر، كما جاءت بمعنى إنبات الأسنان أو سقوطها، فيقال ":أثغر الغلام إذا نبتت ثغره، واثّغَر إذا ألقى أسنان) ، وأيضًا يقال ":ثُغر الصبي إذا سقطت أسنانه، واثَّغَر إذا نبتت بعد السقوط ، **ابن منظور** ،مرجع سابق ،ج٤ ، ص ١٠٤ ، **ابن دريد** ،(أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت ٣٢١ هـ) جمهرة اللغة ، تحقيق :رمزي منير بعلبكي ، ط.١،ج١، دار العلم للملايين ، بيروت : ص ٤١٢ ،**ابن فارس** ،(أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين ، ت ٣٩٥ هـ) ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون ، د.ط.ج١، دار الفكر ، ص ٣٧٩ .

أرض العدو[٣] ،وهي موقع المخافة من فروج البلدان[٤] ، وهي المواضع الخطيرة من الحدود والتي يتسنى للعدو التسلل منها بسهولة إلى أرض عدوه، ولهذا تجب حا رستها والعناية بها، بوضع حاميات بها؛ لتشغل العدو ولتصده من الولوج إليها[١] أو هي المواضع التي تلي دار الحرب أو التي تكون حدا بين بلاد المسلمين وأعدائهم[٢] ، وتكون على الحدود المواجهة للعدو، وتشحن عادة بالمقاتلة وتخزن فيها المواد الغذائية والأسلحة، ويكون واجبها الأساس هو مواجهة الخطر الخارجي الموجه من قبل الأعداء[٣] ، كما يطلق على المدينة المقامة على شاطئ البحر ثغرًا [٤]؛ ويورد قدامة بن جعفر في كتابه "الخراج" تفصيلًا للثغورِ الإسْلامية حيث جعلها ثلاثة أقسام : برية مواجهة لبلاد العدو من ناحية البر فقط، وبحرية تواجهه من ناحية البحر فحسب، والثالثة يجتمع فيها الأمران، فهي برية بحرية، يحارب المرابطون فيها الأعداء عن طريق البر والبحر[٥].

١-٢ المقصود بالثغور:

ويُقصد بالثغور في هذا البحث هي مجموعة القلاع والحصون التي أقيمت على جبهات المواجهة مع الأعداء على طول حدود بلاد المغرب سواء كانت البرية أو البحرية وهي على

---

[٣] **الحموي**(شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ت ٥٧٤ – ٦٢٦ هـ) ١٩٩٥م ، معجم البلدان ، ط.٢، ج٢ ، دار صادر ، بيروت : ص ٧٩ .

[٤] **ابن سيده**(أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت ٣٩٨هـ- ١٠٠٧م) ٢٠٠٠م ،المحكم والمحيط الأعظم ،تحقيق : عبد الحميد هنداوي ط.١ ،ج٥، دار الكتب العلمية ، بيروت : ص ٤٨٣.

[١] **جواد علي**(جواد)٢٠٠١م ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسْلام ، ط. ٤ ، ج٩، دار الساقي ، ص ٣٢٣.

[٢] **ابن منظور** ،لسان العرب ،ج٤،ص ١٠٤ .

[٣] **اليوزبكي**، توفيق سلطان ،(١٩٨٨م) ،الثغور ودورها العسكري والحضاري ، وزارة التربية والتعليم العالي ،بغداد ،ط.٣، ص ص ١٠-١١

[٤] **معلوف**،لويس معلوف ،(د.ت)،المنجد في اللغة و الأعلام،ط. ١٩،المطبعة الكاثوليكية ، بيروت : ص ٧٠

[٥] **قدامه**،(قدامه بن جعفر بن قدامه بن زياد البغدادي ، ت ٣٣٧ هـ) ١٩٨١م الخراج وصناعة الكتابة ،ط.١ ، دار الرشيد للنشر ،بغداد : ص ١٨٥.

هيئة خطوط دفاعية للتصدي للغارات المتكررة ، وتعتبر الثغور منطقة محفوفة بالمخاطر بسبب تعرضها الدائم للإغارة، واحتوائها على الدروب والمنافذ التي تسلكها الجيوش المحاربة من الطرفين، حيث كان يقام نطاق من التحصينات، على شكل حاميات عسكرية دائمة في المعاقل الأمامية والممرات البحرية على تخوم السواحل ، والتي عرفت باسم الثغور[٦].

وكانت تلك المواقع تشحن بقوات تكون على أهبة الاستعداد، واجبها حماية الحدود والوقوف بوجه العدو، وتعطيل تقدمه حتى تصبح القوات الرئيسية جاهزة لمواجهة العدو بكل ثقلها، وقد زد من أهمية تلك المواقع سيطرة المسلمين على البحر المتوسط، فمنعوا بذلك البيزنطيين من تهديد برًا وبحرًا [١]

١–٣ أهمية و دواعي إنشاء الثغور:

اعتاد حكام الدول منذ القدم أن يحموا حدود دولهم التي تفصل بينهم وبين غيرهم من الدول المجاورة، وأن يدافعوا عنها من خطر الاعتداء الخارجي، لاسيما إذا كانوا في حالة صراع مع جيرانهم أو كانوا عرضة لأطماعهم، ويلجأون في سبيل تحقيق ذلك إلى وسائل وأساليب متنوعة، مثل إقامة الموانع وبناء التحصينات وانشاء الثغور وتعزيزها وتطويرها[٢] .

---

[٦] **البلاذري**،(أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ، ت ٢٧٩هـ– ٨٩٢م) ١٩٨٨م ، فتوح البلدان ، دار الهلال ، بيروت : ص ١٨٤ .

[١] **الطبري** ، (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أ بو جعفر الطبري ، ت ٣١٠هـ) ١٣٨٧هـ ، تاريخ الرسل والملوك ، ط. ٢، ج٣، دار التراث ، بيروت ،ص ٣٧٣ ،**ابن مسكويه**(أبو علي أحمد بن يعقوب ، ت ٣٩٠هـ) ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م ، تجارب الأمم و تعاقب الهمم ، تحقيق: أبو القاسم إمامي ، ط.٢ ، ج١، سروش، طهران: ص ٢٩٠ ، **العلي** ،صالح أحمد، ١٩٨٣م، امتداد العرب في صدر الإسْلام ،ط.٢، مؤسسه الرسالة ، بيروت : ص ص ١٠٩– ١١٠.

[٢] وقصة ذي القرنين الواردة في القرآن الكريم ليست ببعيدة عنّا، حيث أعان القوم الذين وصل إليهم وشكوا إليه من اعتداء يأجوج مأجوج، بإقامة سد وحاجز بين جبلين يمنع وصولهم إلى بلادهم ويمنع الاعتداء عليه والقصة مذكورة في أواخر سورة الكهف، راجع : **الجعفري**، أميرة بنت أحمد الجعفري ٢٠٠٦م، سياسة الدولة الأموية في إدارة الثغور الأندلسية ١٣٨هـ–٤٢٢هـ،مجلة المؤرخ العربي،عدد ١٤ ، أتحاد المؤرخين العرب القاهرة ،ص– ٢٧٠

لقد اتخذت العلاقات الإسْلامية البيزنطية طابعا عدائيًا منذ بدأت المرحلة العالمية في تاريخ الدعوة الإسلامية، ذلك أن التوسع في الشام ومصر وبلاد المغرب تم على أنقاض النفوذ البيزنطي في تلك البلدان، وكان من الطبيعي أن تطمح السياسة الإسلامية إلى إسقاط الدولة البيزنطية لتؤول للمصير نفسه الذي آلت إليه الإمبراطورية الساسانية من قبل، وبديهي أيضا أن تخطط بيزنطة سياستها إزاء المسلمين على أساس استرداد ما فقدته من ولايات ثرية، والعودة إلي البلاد التي كانت تسيطر عليها قبل، وهذا ما تفسره مقولة الخليفة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – حيث كان دائمًا يرددها كلما ذكر الروم: "والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا مادونه وللروم ماوراءه "[١]

وبنا ء على ذلك كان الصدام والصراع بين الطرفين لا مفر منه، حيث اتخذ أطوار من الصراع البري والبحري، فضلا عن الصراع السياسي والدبلوماسي بالإضافة إلى التنافس الاقتصادي، ولطالما تبادل الطرفان الانتصارات والهزائم في هذا الصراع المرير الذي أسفر عن نتائج بعيدة المدى في تاريخ كل من الجانبين[٢].

ولهذا حرص الطرفان على إحكام التحصينات على الحدود واقامة معاقل على طول الطرق الحربية وفي المواقع الحساسة ومناطق الاحتكاك، فنتج عن هذا الأمر نظام دفاعي دائم أطلق عليه المسلمون اسم الثغور، وأطلق عليه البيزنطيون اسم الثيمات[٣].

هذا وقد شكلت الثغور خطوط الدفاع الأولى وأداة حجز ووقاية عن حدود العالم الإسْلامي ؛وقد لعبت دورًا عسكريًا مهمًا حيث كان يتم على أرضها الاستعدادات الحربية وتعبئة الجيوش والتهيؤ لملاقاة العدو، وكون أن الثغور هي أماكن ومعسكرات للرباط والجهاد والقتال ضد الأعداء، فكان لابد وأن تكون جاهزة ومستعدة على الدوام هي ومن

---

[١] **الصلابي**، علي محمد محمد ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، تاريخ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ،ط.٢، ،ج١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ص ٥٧ .

[٢] **الغني**، عبد الرحمن محمد العبد ،1990،الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية ٣٣٩-٣٤٠ هـ/ 660- ٩٥٠م، حوليات كلية الأداب ، رقم ٧١ ، ص ١١.

[٣] **ليسترنج كي**، د.ت. ، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس و كروكيس عواد(د .ط.) الكويت : مؤسسة الرسالة ، ص ١٦٠.

يقطنها، الذين أتوها طمعا في أجر الجهاد فكانوا يشتغلون به وبما يعين عليه، لذلك اختلفت الحياة فيها عن غيرها من الأماكن، وكذلك اختلف النشاط اليومي فيها عن غيرها، ويتم منها تحرك وانطلاق الجيوش وقبل ذلك، كان يتم إرسال مجموعات مقاتلة للاستطلاع وتقصي الأخبار واستكشاف الدروب، وللإغارةِ على بلادِ العدو القريبة منهم ويعود وينقل لهم المعلومات التي يبنى عليها عمل الجيش في المستقبل، وليتصرف أولو الأمر من المسلمين على ماوصلهم من معلومات من أهل الثقة لديهم[١] ، فضلا عن حماية الجبهة الداخلية للثغور عقب مغادرة الجيوش حيث يقوم ولي الأمر بإغلاق باب المدينة كشكل احترازي ومن باب الاحتياطات الأمنية، خشية من قيام جواسيس العدو بالاطلاع على استعدادات المسلمين، ونقل صورة عن تجهيزاتهم وأعدادهم، ولمنعهم من القيام بعمليات إضعاف الجنود نفسيًا وبث الإشاعات في صفوفهم ، وقد كانت توصد الأبواب وتودع المفاتيح لدى صاحب الشرطة في الثغر.[٢] ،كذلك لعبت الثغور دورًا مهما في الحرب النفسية مع العدو، نظرًا لقربها من بلادهم، كونها البوابة التي يدخل منها الرسل والتجار والتي تنتشر فيها العيون، لذلك حرص المسلمون أن تبقى في حالة من الاستنفار والجهاد الحقيقي في كل أوقاتها[٣].

١-٤ أختيار موقع ثغر المهدية :

تميز البحر المتوسط بشروط ملاحة محددة لكل قطاع جغرافي[٤] ؛ إذ ينقسم البحر ظاهريًا إلي قسمين غير متساويين في المساحة ، بالإضافة لطبيعة البحر المتوسط من

---

[١] **الهروي**، (تقي الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي)، د. ت، التذكرة الهروية في الحيل الحربية ، د. ط.) مكتبة الثقافة الدينية، ص ص ١٥- ١٦ .

[٢] **عباس**، إحسان ،١٩٨٨م، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ . ط. 3 ، ج .٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص٢٥٣ .

[٣] **ابن العديم**، (عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، د.ت.) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، د. ط . دارالفكر ،ج ١،ص ١٩٨ .

[٤] **David,** Bramoulle , Les Fatimides et la mer (909-1171),Islamic History and Civilization, Studies and Text, Editoriol Board , Seloastion Gunther, Bril l, P 23-24

حيث تضاريس سواحله وقاعه أذ أتسمت المنطقة بالضحلة قرب السواحل التونسية في الحيز الممتد حتى جزيرة صقلية[٥] كذلك مناخه كنظام الرياح والتيارات الغير متطابقة تمامًا في كل الأحوال .

وفي منتصف القرن العاشر سيطر الفاطميون على شريط ساحلي كبير نسبيًا يمتد من محيط برقة إلى الساحل ومن الشرق إلى منطقة ناكور في الغرب يضاف إلى هذا صقلية التي كانت معظم موانئها تحت إشراف حكام باليرمو ومثّل الفاطميون آنذاك قوة بحرية لا يمكن انكارها ؛ وهو ما وُضع بعين الأعتبار حينما قرر عبيد الله المهدي جريًا على عادة الدول الإسْلامية في العصور الوسطى أختيار موضع حاضرته وعاصمة ملكه ؛ فخرج ٣٠٠هـ/٩١٢ – ٩١٣ م يرتاد موضعًا على الشريط الساحلي في منطقة تونس وقرطاجة[١] حتى ظفر ووقع اختياره على جزيرة الخلفاء[٢] والتي ذُكرِت في المصادر التاريخية بجزيرةِ القَار[٣]، وتقع المهدية[٤]على ساحل البحر المتوسط [٥]، ومحاطة بالبحر

---

[٥] **الجوهري** ، يسري ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ م، ص ٩ .

[١] **البكري** ، المغرب ، ص ٣٠ ؛ **الحموي** ، معجم البلدان ،ج٤ ، ص ٣٢٣ **ابن عذاري**(أبو عبدالله محمد المراكشي، ق.٧ هـ.)البيان المغرب في أخبار المغرب،تحقيق :ليفي بروفنسال، كولان،ليدن :١٩٤٨م ، ج١، ص ١٦٩ .

[٢] **الحموي** ، ج.٥.ص ٢٣ ؛ **إبراهيم** ، حسن ، عبيد الله المهدي ، النهضة المصرية ،القاهرة ، ١٩٤٧ م ، ص ٢٠٥؛ زبيس، سليمان مصطفى، أثار المغرب العربي ،ط١، تونس ١٩٥٨ م ، ص ٤٠ .
Creswell; The Muslim Architecture of Egypt, Oxford, P. 3.

[٣] **ابن حماد** ، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم ، ص ٤١ .

[٤] عرفت المهدية بالبيضاء أو ذات الهلالين على شبه جزيرة المزاق عبارة عن نتوء صخري داخل البحر ، **النعمان**، (القاضي نعمان بن محمد، ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، أفتتاح الدعوة، تحقيق ؛فرحات الدشراوي ، تونس:١٩٧٥م ، ص ٣٢٧ ،عرفت فترات تاريخية متعاقبة كشفت عنها الحفائر الاثرية وشيدت على أنقاض مدينة قديمة ومن أثارها الاغلبية قصر جمة ،**الحميري**،(أبو عبدالله بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق:إحسان عباس ،ط.٢، بيروت ١٩٨٤م ،ص ١٧٢ ويشير الجغرافي الفرنسي **جون ديبوا** أن البنية الجيوموفولوجية لولاية المهدية تتراوح بين فترة العصر البليوساني والعصر البيولوجي الرابع .

[٥] **الأصطخري**،(أبو القاسم إبراهيم بن محمد، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحيني، القاهرة ،١٩٦١م، ص ٣٣ ؛**المقدسي** ،(شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م)

من كافة الجوانب عدا الجانب الغربي [٦]،وتشكل هيئة كف على زند داخل البحر ويحدها شرقًا سوسه ،تبعد عن القيروان ستين ميلًا [١]وعن تونس مائتين كيلومتر [٢]؛ وأمتاز موقعها بشدة الحصانة [٣] (شكل–١)

هذا وتعددت أسباب أختيار ثغر المهدية حاضرة الدولة العبيدية نوردها لبيان أسباب تغير المفاهيم التي حكمت أختيار مواضع مدن الأمصار على مدار تاريخ الدولة الإسْلامية ؛ حيث دعت الضرورة بعد حروب الردة وبداية الفتوحات الإسْلامية إلي الأقاليم إنشاء مُدن بمثابة معسكرات للجيوش ومراكز أدارية لإدارة الأقاليم المفتوحة كالبصرة١٤هـ/٦٣٥م ،الكوفة١٧هـ/٦٣٨م، الفسطاط٢١هـ/٦٤١م،القيروان ٥٠هـ/٦٦٥م ،العسكر ١٣٣هـ/ ٧٥٠م .

ثم تطورت هذه المُدن وتحولت من مجرد معسكرات إلي مدن ذات معايير مدنية واضحة تمثلت فيها الحياة العربية وأرتبطت بأحداث التاريخ الإسْلامي أرتباطًا وثيقًا في كل مراحلها، و مع تغير الظرف التاريخي ، وأهتمام المسلمون بالبحرية[٤]

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،نشر دي خوريه ،ليدن،١٩٦٧م،ص ٢٣٦؛ **الإدريسي** ،(أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز ت ٥٦٤هـ/١١٦٨م) نزهة المشتاق في أختراق الأفاق ،ج.١،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ص ١٢٨١؛ **الحموي**، معجم البلدان ،ج.٥،ص ٢٣٠؛**الحميري** ،الروض المعطار،ص ٥٦١؛ **السَرَاج** ،(محمد بن محمد الأندلسي ت ١١٤٩هـ)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج.١،ق. ٤، تحقيق: محمد الحبيب الهيله ،تونس ١٩٧٠م ، ص٨٩٧ ,Dark Hill
Islamic Architecture in North Africa ,London ,P. 102

[٦] **البكري** ، عبارة عن برزخ ممتد داخل البحر ، راجع ؛ المُغرب ،ص ٢٩ .

[١] **مجهول**،الأستبصار ص ١١٧؛ **أبن عذاري** ،البيان المغرب،ج.١،ص ٢٠٧ ؛ **الحميري**،الروض المعطار، ص ٥٦١؛ **دياب** ، صابر محمد، سياسة الدولة الإسْلامية ، ط.١ ، عالم الكتب ،القاهرة ،١٩٧٣،ص ٩٥؛ **الفقي** ، عصام الدين عبد الرووف ، تاريخ المغرب و الاندلس ، مطبعة نهضة الشرق ،جامعة القاهرة ، ص ١٧٩.

[٢]Lezine, Mahdiya ,Rechereches D'Archealogue Islamique , Klimcksiech, 1965, P.13

[٣] **الأصطخري**، المسالك و الممالك ،ص ٣٣؛**أبن حوقل** (أبو القاسم أحمد النصيبي ، ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ،١٩٧٩م ، صورة الأرض ،بيروت ، ص ٧١ .

[٤] Lezine, Mahdiya , P. 19 .

تجلت النهضة الفاطمية بصورة واضحة في عنايتهم بالبحرية وكل ما يتصل بها، وقد بدءوا في ذلك منذ قيام دولتهم في المغرب، فقد عرفوا كيف يستفيدون من الإمكانات البحرية الكبيرة التي تتيحها بلاد المغرب

تطلب الأمر أقامة مُدن ساحلية توفرت فيها عدة شروط لتأمنيها وتحصينها "منها أن تكون متوعرة المسالك ،وحولها قبائل أو باستدارة بحر لا يوصل إليها الأ بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها [١]والجدير بالذكر ،أن عبيد الله المهدي لم يحبذ فكرة الأقامة في رقادة أو القيروان إذ كانتا لا تصلحان في رأيه لتحقيق أغراضه السياسية ،الحربية والدينية فالمدينتان كانت تزخران بأنصار الأغالبة المعاديين للفاطميين[٢]

فمدينة رقادة تقع في سهل فسيح جعلها عرضة للغزو من كل جانب ،والقيروان ضاعت وأستردت أكثر من مرة، ومن الضروري أن نُشير إلي حقيقة مهمة مؤداها أن اختيار عبيد الله المهدي لموقع ثغر المهدية قام على فهم صادق لإوضاع وأحوال المغرب وأتجاهاته وتياراته المختفية ، فقد كان علم بإن دولته أقامها البرانس وأن البتر أعداءهم لن يركنوا إلي الهدوء بل سيرفعون لواء التمرد والمعارضة[٣]

لصاحب السلطان فيها، من السواحل الممتدة ذات المواقع الكثيرة الصالحة لإنشاء الموانئ وتوفر أخشاب السفن والحديد اللازم لصنعها، ثم وجود جماعات من أهل المهارة البحرية والقدرة على ركوب البحار على سواحل المغرب كلها من رقة إلى طنجة؛ فمن الموانئ التي أنشئها العبيديون الفاطميون أو جددوا بناءها وأنشئوا دور الصناعة فيها: المهدية وأصبحت من ذلك الحين حصن الفاطميين الأكبر، وتونس وسوسة وسفاقس عنابة (بونة) وغيرها؛ ابن حيان(بن خلف بن حيان الاندلسي أبو مروان ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، المقتبس، من أخبار الاندلس،تحقيق ؛ صلاح الدين الهواري،353–347ابن الأثير،الكامل،٨،ص ٢٨٤ ؛فرحات الدشروي،الخلافة الفاطمية بالمغرب٢٩٦–٣٦٥هـ/٩٠٩–٩٧٥م التاريخ السياسي والمؤسسي، السلسلة الجامعية ،ترجمة حمادي الساحلي ، ص ٢٧٤.

[١] **ابن خلدون** ، المقدمه ،ص ٣٠٧ ، وما بعدها ؛ **ابن الأزرق** ، (محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي أبو عبدالله شمس الدين الغرناطي ،٨٩٦هـ/ ١٤٩١م) ، ١٩٧٧م ، بدائع السلك في طبائع الملك ،تحقيق ؛ محمد عبد الكريم ،الدار العربية للكتاب ،ج ٢ ،ص ٧٦٦– ٧٦٧ .

[٢] **إبراهيم** ،حسن،عبدالله المهدي ، ص ٢٠٤– ٢٠٥ ؛**إبراهيم** ،سنوسي يوسف ، زناته والخلافة الفاطمية، ١٩٨٢م ، ط.١ ،مكتبة سعيد رأفت ،القاهرة ، ص ١٧٣.؛ **محمود**، حسن أحمد ، تاريخ المغرب والأندلس ،١٩٩٠م ، مكتبة الثقافة ،القاهرة ،ص ٢٦٩.

[٣] **البكري** ، المغرب ، ص ٣٠ ؛ **محمود** ،حسن أحمد ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ ؛ **Lezine** , op Cit.,P.13

وقد كان الهدف الرئيس للمهدي تشيد حاضرة لتدعيم الوجود الفاطمي بالمغرب ولتصبح ملًاذا له ولإهله يعتصمون فيها ضد أي ثورة[٤] وهو الأمر الذي أوردته المصادر التاريخية بوضوح، وبالفعل أثبتت الحوادث صدق ظنون المهدي عقب ثورة ابن كيداد ٣٣٥هـ/٩٤٦م ولم يستطْع أن ينال من المهدية لمناعتها وحصانتها.

فضًلا عن اهتمام العبيديين الفاطميين العظيم بالأساطيل والقوة البحرية والجهاد البحري بهدف مواجهة البيزنطيين وردهم عن بلاد الشام، وقد قام الفاطميون بذلك ليظهروا أنهم حماة ثغور الإسْلام دون العباسيين لهذا اهتم الخلفاء الفاطميون بالأسطول والجهاد البحري فأنشأوا ديوان الجهاد والعمائر ليضاهي بذلك خطة أشغال البحر، وأقاموا عليها قائداً يسمى صاحب أشغال البحر. واستطاع أسطول الفاطميين حماية سواحل مصر من عدوان الروم حتى زوال دولتهم، وكان أكبر معين للفاطميين على هذا النشاط البحري، أن سكان سواحل المغرب كانوا من المشتغلين بالبحر من قديم الزمان، ولهم دراية على ركوب البحر وجرأة عليه، وكانوا كذلك طوال تاريخهم، فأفاد الفاطميون منهم، وتنبهوا لأهمية السيطرة البحرية كوسيلة لحماية أرض الإسلام، وأساس للتجارة ومورد للمال، فإن نشاط الفاطميين في الإغارة على السواحل النصرانية كان مورداً من أكبر موارد المال عندهم، وقد اشتهرت أيام عبيد الله المهدي غارة قام بها أسطول فاطمي على وادي وارى Oria في كلابريا في إيطاليا عادت بغنائم وفيرة جداً، ومن ثم تحقق للثغر مركزًا تجاريًا مهمًا .

٢- أنشاء ثغر المهدية[١] :

---

[٤] **ابن حماد** ،أخبار ملوك بني عبيد ،ص ٤٢-٤٣ ؛ **ابن النعمان** ،أفتتاح الدعوة ،ص ٣٢٨ ؛**دياب**، صابر محمد، مرجع سابق ،ص ٩٨ ؛ **Marcais**, LArt de L' Islam ,Paris, 1946, P. 68.

[١] انعكست الصبغة الحربية والثغَرية على عمارة المهديَة وامتزجت بملامح من العقيدة الفاطمية بدت واضحة من خلال دراسة تخطيط المدينة ، وقد أطنب المؤرخَون والاثاريون المعاصرون في أستقراء هذهخ الظواهر إلَا أنَ الإطلاع على بعض المصادر التي لم تنشْر إلاَ أخيرًا كالمجالس والمسايرات للقاضي النعمان والجزء الخامس من كتاب عيون الأخبار وفنون الأثار للداعي أدريس ومقارنتها بما ورد في كتب الجغرافيين السابقين يسمح بالقيام ببعض الملاحظات الأضافية حول الموضوع .

٢-١ تاريخ بناء المهدية ومساحتها :

أختلف المؤرخون في السنة التى وضع فيها المهدي أساس حاضرته[٢]،بينما أكد التجاني إلي أن أنتقال المهدي لعاصمة ملكة عقب اتمام إنشاء القصور والسور

وبعض مساكن حاشيته في ٣٠٨هـ/٩٢١-٩٢٢ م [١] وبلغ موضع ثغر المهدية والذي يتخذ شكل شبه جزيرة ١٥٠٠ متر طول فيما بلغ عرضها ٥٠٠ متر[٢]

بينما ذكر Creswell أن طول شبه الجزيرة حوالي ميل أي ١٥٨٠مترًا والعرض ٤٠٠ متر[٣] ؛ولم تشرْ المصادر التاريخية إلي مساحة المهدية ،سوى ما أورده البكري حول الموضوع حيث ذَكر أنه شرع المهدي في وضع حجر الأساس للمهدية كان عرض المدخل من القبلة إلي الجوف مقدار غلوة تساوي ٤٠٠ ذراعًا أو ١٨٤.٤ متر وهذه المساحة تمثل منتصف العرض ،وعندما نضيف الجزء الأخر يبلغ طول العرض ٨٠٠ ذراعًا أو ٣٦٩.٦ متر ،ولكن عبيد الله وجد أن هذه المساحة لا تكفي لبناء كافة المرافق المخطط لها فردم من البحر مقدار غلوة وبالتالي يصبح عرض المهدية ١٢٠٠ذراعًا أو ٥٥٤ متر[٤]

---

[٢] أكد **البكري** على ان البناء تم في ٣٠٠ هـ/٩١٢-٩١٣م ويتفق معه **الحموي وابن عذاري** ؛**أما ابن الأثير** فيرى ان البناء بدأ في ٣٠٣هـ/٩١٢م و يؤيده **ابن الأبار** ،**أبو الفداء** ،**القلقشندي والمقريزي** للاستزادة راجع ؛**البكري** ،المغرب ص ٣٠، **الحموي**، معجم البلدان ،ج.٥،ص ٢٣٠ ،**ابن عذاري**،البيان المغرب،ج.١،ص ١٦٩، Marçais ,op cit P.121 ، **ابن الأثير**، الكامل في التاريخ ، ج.٦ ،ص ١٥١، **ابن الأبار**، الحلة السيراء،ج.١ ،ص ١٩٢، **أبو الفدا**، تقويم البلدان ، ص ١٤٥، **القلقشندي**، صبح الأعشي ،ج.٥، ص١، **المقريزي**، أتعاظ الحنفا ،ج.١،ص ١٠١

[١] **التجاني** ،(أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) رحلة التجاني تونس طرابلس ٧٠٦ – ٧٠٨ هـ ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا – تونس ،١٩٨١ ، ص ٣٢١ .

[٢] **مؤنس** ،حسين ،تاريخ المغرب وحضارته ،مج.١،ط.١،الدار السعودية للنشر ،١٩٩٠م ،ص ٤٨١ .

[٣] **Creswell** , Op cit,P.2 ; **Marcais** , Al Mahdiya Artile in the Encyclopeadia of Islam ,Tome III, P. 121.

[٤] "وعرض المدخل إلي المهدية من القبلة إلي الجوف قدر غلوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وأدخله في المهدية " **البكري** ،المغرب ،ص ٣٠ ؛**التجاني** ،الرحلة ص ٣٢٣ مشيرا إلي قيام المهدي بمباشرة الأعمال بنفسه ؛ **عبد الوهاب**، حسن حسني ،تاريخ تونس ،ط. ٤، تونس: ١٩٦٨م، ص ٩٧؛ =

٢-٢ تحصينات المهدية في المصادر التاريخية:

ذكرنا آنِفًا أن موقع المهدية ترك أثره الواضح في رؤية تحصينية دفاعية ،وعمرانية ظهرت جلية في السور والأبراج والبوابات فأول ما شيد عبيد الله المهدي في حاضرته السور؛ ولم يبنْ لها سور إلا في الجهة الغربية لارتباط الثغر بالبر من هذه الجهة حيث حُصن الموقع بإحاطة الماء له من ثلاث جهات الشرقية ،الشمالية والجنوبية ولمناعة السور ومتانته وحصانته[٥] ذكرته المصادر التاريخية في عدة أشارات

٢-٢-١ السور :(لوحة-١)

بلغ طوله نحو ميلين وعرضه يتسع لفارسين يمشيان عليه [١] ، مُحصن ومُحكم البناء،[٢] ويشبه سور (الرافقه) الرقة[٣] ، عقب أتمام بناء السور رمى عبيد الله المقمين بالبرج لإختبار أرتفاعه[٤] ؛وما أشتمل عليه السور من أبراج وأبواب قدم مارمول كربخال وصفًا دقيقًا له حيث زار المهدية قبيل أن يدمرها شارلكان ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٣م [٥].

=**نويار** ،رابح ،المغرب العربي ،ط.٢ ،الجزائر : ١٩٨١م، ص ١٨٦ ؛ **صبحي**، الصالح ،النظم الإسْلامية ، ط.٤، دار العلم ، بيروت :١٩٨٧م، ٤١٦ -٤١٧ .

[٥] **Lezine** A.,Mahdia…,Paris, 1965. ;ROY,(Bernard),"Inscriptions arabes de Mahdia" , Revue Tunisienne,N°122, 1915, P. 29-34. ; **Hannezo**(C.), "Mahdia; notes historiques", R.T.1907(P. 227-236,P.340-349, P.525-535) et1908 (P. 46-59,P.244-252, P. 412-421, P. 544)

[١] **البكري** ، المغرب ،ص٢٩؛ **الإدريسي** ،نزهة المشتاق ، ج١،ص ٢٨٢ .

[٢] **الحموي**، معجم البلدان ،ج.٥ ، ص ٢٣١

[٣] **ابن حوقل**، صورة الأرض ، ص ٧٣ .

[٤] **ابن خلدون** ، العبر ،ج٤، ص ٣٨ .

[٥] **Marmol** , 501 " qui avançait de 40 pieds jusqu' a la barbacane ….entre ces murailles et le viude des tours étaint les apartement du gouverneur et des Soldats"

شارل الخامس (1500 – 1558)، كان حاكم الامبراطورية الرومانية المقدسة من 1519 وللممالك الاسبانية [١٥١٦] حتى تنازله في 1556 .قام بتوحيد عدة ممالك من ضمنها الإمبراطورية الرومانية المقدسة إسبانيا نابولي و صقلية وهولندا البورگونية إضافة لمسعمرات إسبانيا في أمريكا ان الملك شارل الخامس محباً للآداب والفنون وراعياً لها، فقد أسَّس المكتبة الملكية، وجدَّد بناء اللوفر، وشيَّد قلعة الباستيل (التي صارت فيما بعد سجناً)، وفرض ضرائب دائمة، وأعاد للنقد عافيته. وعندما=

٢-٢-٢ الأبواب والمداخل من خلال المصادر التاريخية :

دُعِم السور الغربي لثغر المهدية بستة عشر برجًا، ثمانية منها ترجع لعصر الانشاء والثمانية الأخرى أُرخت بفترات متأخرة [٦] ، ولها بابان ليس لهما شبيهأ ونظير على مثالهما عملا ومن شكلهما اتخذا [٧] ويقصد أبواب "الرقة" من الحديد المصمم، وجعل

في كل مصراع من الأبواب مائه قنطار

و لها أربع مصاريع [١] وزنة كل باب الف قنطار وطوله ثلاثون شبرا في كل مسمار من مساميره سته أرطال[٢] ، ولكل باب منها دهليز يسع خمسمائه فارس ، وزينت الأبواب بصور الحيوان بشكل الأسد[٣] ،نفذت بطريقة الصب من البرونز في أوضاع متقابلة ،وهذه الأبواب حوافها الخارجية مقوسة ومدعمة بالحديد تدعيما يشبه الأبواب التي تنزلق من أعلى البرج[٤]، أما الأبراج فعددها ستة أبراج برجان طرفيان مسقطهما مستدير و يمتازا بالارتفاع ،بلإضافة إلي أربعة أبراج مربعة المسقط في منصف السور[٥] أما البرج الثاني من جهة الشرق[٦] ويوجد أسفل هذا البرج قبو ضخم ،وست بوابات على خط واحد هذه البوابات مغطاة بألواح سميكة من الحديد و البوابة الثانية بالترتيب من الخارج إلي الداخل صُنعت

=حصل الانشقاق عن الكنيسة الرومانية، وقف الملك شارل إلى جانب البابا كليمان السابع، و عن حملة شارل الخامس على تونس راجع ؛ **جان** لوي باكي جرامون ، أوج الأمبراطورية العثمانية ١٥١٢– ١٦٠٦ ،تاريخ الدولة العثمانية ،ج .١، ص ٢٣٢ .

[٦] **البكري** ؛ ص ٢٩ ؛**الإدريسي** ؛ ج.١،ص٢٨٠ ؛**الحموي** ،ج. ٥، ص ٢٣٠.-٢٣١ .

[٧] **ابن حوقل** ، صورة الأرض ، ص ٧٣.

[١] **الحموي**، معجم البلدان ،ج. ٥، ص، ٢٣١.

[٢] **ابن خلدون** ، العبر ،ج.٤ ، ص ٢٨ ؛ **المقريزي** ،أتعاظ الحنفاء ، ج.١، ص ١٠١

[٣] **مجهول** ،الاستبصار ، ص ١١٧ .

[٤] **كَربخَالْ** ، مَارمْول ؛إفريقيا(١٩٨٨-١٩٨٩م) ،ج.٣ تعريب : محمد حجي وآخرون ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة ،دار نشر المعرفة ،الرباط :، ص ص ٧٠-٩٣ ؛**إدريس** عماد الدين ٨٧٢هـ/١٤٨٨م ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ،تحقيق: محمد اليعلاوي ،دار الغرب الإسْلامي ،بيروت :١٩٨٥،ص ٢٠٩.

[٥] **مارمول** ، إفريقيا، ص ص ٧٠-٩٣

[٦] صحح **Creswell** هذا الاتجاه على أنه جهة الغرب حيث لا يوجد مدخل اخر يربط الثغر بالبر .

من قضبان ضخمة من الحديد مثبتة في بعضها بدون أي استخدام للخشب وثبت في كل باب مصراعين[٧]

٢-٣ تحصينات المهدية إنشائيًا ومعماريًا من خلال الحفائر والدراسات الأثارية :

أمكننا رصد ما يلي من خلال تحليل ماورد في المصادر التاريخية ومطابقته بنتائج المسح والحفائر الأثارية ؛ تميز سور المهدية الغربي بالسمك (شكل-٢) وهو أمر متبع في إقامة أسوار المدن الكبرى كمدينة بغداد .

وبُنيِ السور بحجر التلاتات [١] المنحوت كتلته بهئية متوازي مستطيلات بقياسات محددة تم مراعاتها في البناء بحيث يختلف فيها الطول بينما يظل قياس عرض كتلة الحجر مساويا لارتفاعها مما أسهم في سهولة البناء ومتانته وساعد على صغر حجم كتلة الحجر[٢] ،علما بإنها نفس نوعية أحجار مئذنة جامع القيروان .

دُعم السور بالأبراج وعددها ثمانية موزعة على سور بطول ٤٠٠ متر أي أن المسافة بين كل برج حوالي ٥٠ متر وهي مسافة قصيرة تسمح بصد الهجمات من أعلى الأبراج ؛ بينما نُفذت تقنية وشكل وأرتفاع البوابة[٣] في السور بتأثير مشرقي ولا عجب في الأمر كون ان عبيد الله المهدي نشأ في الشام .

---

[٧] **مارمول** ،ص ص ٧٠- ٩٣ ؛ وقد طلب المهدي اختبار وزن مصارع الأبواب فاخبر ان لا سبيل إلي ذلك لإفراط ثقله فأمرهم أن يضعوا إحدى مصراعيه على ظهر سفينة ففعلوا ونظر إلي منتهى غوص السفينة في الماء ،ثم أنزل وشحنت السفينة بالرمل و الحجارة إلي أن وصل منها ما وصل أولا ،و استخرج الرمل منها ،فوزن على كرات فكان وزن كل مصراع مائه قنطار؛ راجع **التجاني** ، الرحلة ،ص ٢٢٣ .

[١] هى أحجار ذات حجم موحد من الحجر الرملي .

[٢] **عبد الجواد** ، توفيق أحمد ، معجم العمارة وإنشاء المباني ،القاهرة ،مؤسسة الأهرام ،١٩٧٦م، ص ١٢٥.

[٣] تشير المصادر إلي أن أرتفاع المدخل الرئيس ٣٠ شبر ، والشبر حوالي ٢٣سم وهو أرتفاع موافق للتقاليد الاسلامية وقد جرى العرف بأن يحدد هذا الارتفاع بما يعادل ارتفاع فارس راكبًا فرسه ورافعًا رمحه ؛راجع؛ **البكري** ،المغرب ،ص ٢٩ ، **ابن الرامي** البنّاء(أبوعبدالله محمد بن إبراهيم اللّخمي)،١٩٩٩م،الإعلان بأحكام البنيان ، تحقيق: فريد بن سليمان ،مركز النشر الجامعي ، تونس ،ص ١٨٦؛ **عثمان** ،المدينة الإسْلامية ، ص ١٧٤ .

أما على مستوى التخطيط فالمدخل الرئيس لثغر المهدية كان من نوعية المداخل التي تخترق برجًا واحدًا ضخمًا مثل باب بغداد في مدينة الرقة ويؤدي هذا المدخل إلي دهليز مقبى بطول حوالي ٤٥ مترًا رُكِب عليه ست بوابات متتالية لعرقلة العدو ويسع هذا الدهليز يسع ٥٠٠ فارس "سُمي بسقيفة الكحلة"(شكل–٣،لوحة–٢)من شدة إظلامه ويكتنف المدخل الرئيس برجان كلاهما بهيئة مضلع نصف مثمن بأرتفاع حوالي ٢٠مترًا وشُغِل الدهليز بست دخلات بلغ عرض الفتحة المحصورة بين البرجين ٣.٥٠متر تتسع بشكل ملحوظ لوجود ارتدارين في البرج الجنوبي لتصل لحوالي ٤.٨٠سم تقريبًا وتنتهي ببروز في الجانبين في القطاع الأخير من الدهليز الذي يمثل فتحة بأتساع ٣ متر تقريبًا ، أما الدخلات الست على جانبي الدهليز متساوية الاتساع ٣.٥متر بعمق ١ متر وأرتفاع ٦٥ سم من مستوى أرضية الدهليز ومعقودة بعقود نصف مستديرة [١] ؛ والجدير بالتسجيل ان جانبي الدخلة الاولى والثالثة والخامسه والسادسة فتحاتها على هيئة معمارية تأخذ شكل فتحة البوابة وهو الأمر الذي يتوافق مع وصف مارمول كربخال حيث أورد أن القبو الذي يمر أسفل برج البوابة يشتمل على ست بوابات ذات مصاريع ،اما الدخلة الثانية مختلفة ونفد بابها بقضبان حديدية ضخمة مثبتة إلي جانب بعضها بهيئة مقوسة من أعلى ومصاريع قوية ، والمؤكد استخدام الحديد أستخدامًا أساسيًا دون غيره من المواد وصنع بهيئة طبقات ثبت بعضها مع بعض بمسامير البرشام .

٢–٤ الأهمية الوظيفية لتحصينات المهدية :

نستطيع أن نجمل عدة أمور في ضوء ما قدم آنِفًا حول نتائج المسح والحفائر الأثارية في ثغر المهدية أهمها [٢] :

---

[١] **Marcais** (G.), Manuel D' Art Musulman , Tunisie , Algérie , Maroc , Espagne , Sicile . V.I.Paris,1926, P. 132 .

[٢] **Djelloul** (Neji), Mahdia capital des Fatimides ,Sousse , Contraste Editions , 2003; "Histoire topographique de Mahdia a l' époque Ottomane " Actes du 2eme seminaire sur la mer .CERS, Tunis, 2001

– حرص المنشئ على سمك السور لإدائه وظيفة دفاعية أرتبطت بوسائل أساليب الدفاع عن المدن في العصور الوسطى حيث يمثل السور خطًا حصينًا من الرماة الذين يعتلون سطح السور كخط دفاع أعلى ؛ وتمكن سماكة السور من التغلب على الأعداء بالنقب ،كذلك أرتبط سمك السور بإرتفاعه الذي يعوق أي محاولة لتسلقها فكلما زاد الأرتفاع كلما زاد السمك .

– أستخدمت الروابط الرخامية في البناء وذلك بوضع أعمدة من الرخام بغرض بناء السور بحيث يبدو قطاع طرفي العمود في وجهي السور الخارجي والداخلي في هيئة قرص دائري يمنع سقوط السور الذي يعلوه بسهولة حيث يحمل البناء فوقه من حشو بناء السور كما يربط جيدًا وجهي بناء السور وبذلك يضعف من عملية نقبه .

– حماية البوابة ببرج المدخل يؤدي إلي غرض الدفاع والحماية وفق تقدير يتوافق وأساليب الهجوم والدفاع في العصور الوسطى وأدواتها واسلحتها .

– تعدد البوابات على التوالي مهمة في التخطيط الدفاعي وهدفها عرقلة العدو في حالة نجاحه في اقتحام المدخل الرئيس .

– إظلام الدهليز (السقيفة الكحلاء)[1] واعتماد الرؤية على الضوء الأتي من فتحات الدهليز آوله وأخره و فتحة ثالثة في منتصف سقف الدهليز على هيئة شخشيخة من الأساليب المهمة في التخطيط العسكري حيث ان المهاجم لبوابة مدينة ودهليز مدخلها لا تتوفر فيه رؤية جيدة بينما تتوفر للجنود المربطين في الدخلات على جانبي الدهليز رؤية تكيفت أبصارهم عليها وتمكنهم من الأنقضاض على المهاجمين .

---

[1] **زبيس**، سليمان مصطفى ، بين الاثار الاسلامية في تونس ، منشورات ، تونس، ص ٦١ ؛ وللاستزادة حول هذا الموضوع راجع ؛ **الرماح** ،مراد ،١٩٧٧ ، المواقع والمعالم بالبلاد التونسية ، شهادةالتعمق في البحث ، دراسة مقارنة ،تونس؛ ١٩٩٦، ملاحظات حول تخطيط مدينة المهدية وعمارتها في العهد الإسْلامي المبكر ، سلسلة مجلة إفريقية ، عدد ١٤ ،المعهد الوطني للتراث ، وزارة الثقافة التونسية ، ص ص ١– ٢٧ .

– أستخدام الحديد في الأبواب حتى تقوى على خطر تعرضها للحريق وهوما يلجأ إليه المهاجمون لأبواب المدن في العصور الوسطى والتي تصنع من الأخشاب ؛كما أن الحديد يقوى على ضربات المناجنيق والآت النقب .

– تقارب الأبراج المشتمل عليها السور من بعضها البعض يساعد على امكان التغطية بسهام الرماة تغطية دفاعية كثيفة .

– ومن الجدير الأشارة إلي ما أوردته المصادر التاريخية عن وجود خندق خارج سور المهدية حيث عُد من منظومة العناصر المعمارية الحربية لهذا الثغر وأنشي في عهد القائم ابن المهدي ٣٣٣هـ/٩٤٤م حول أرباض[١] المهدية وزويلة[٢] .

٣- منشأت ثغر المهدية : (لوحة -٣)

مازال هناك بعض شواهد ثغر المهدية التي أسسها الفاطميون تتمثل في بعض العناصر المعمارية الباقية للمسجد الجامع وميناء المهدية ؛أشارت المصادر التاريخية إلي البعض الأخر الذي اندرس ، ونوهت عن بعض ملامح تخطيط الثغر كقصر الخليفة عبيد الله المهدي ، وقصر أبنه ومساكن الجند والحاشية ،ودار الصناعة واهراء القمح ، والجباب ، ومصانع الماء ، دار المحاسبات، دار الطراز ، دار الضرب ، والأسواق والحمامات ؛ وأرباض ؛ وفي ضوء مابقي من أثار يمكننا أعطاء لمحة عن تخطيط المدينة .(شكل- ٤)

٣-١ المنشأت الدينية :

٣-١-١ المسجد الجامع : (لوحة-٤)

كان إنشاء المساجد الجامعة من محاور التخطيط الرئيسة لأي مدينة إسلامية مبكرة لمـا للمسجد من دور مهم في تأكيد السلطة السياسية للدولة ؛لذا حرص عبيد الله المهدي على ذلك من هذا المنطلق حيث ان دولته أختلف مذهبها عن المذهب السني

---

[١] **الرَّبَضُ:** هو ما حول المدينة .

[٢] **Creswell**, op.Cit., P. 5.

للخلافة العباسية والخلافة الاموية في الاندلس ،وكشفت المصادر التاريخية[٣] عن مدي حرص عبيد الله على أختيار موضع الجامع في ثغر المهدية بردم جزء من البحر، ولعل مادفعه إلي ذلك هو حصانة هذا الموضع الذي يحيط به البحر من ثلاث جهات .(شكل– ٥)

وقد وقع على عمارة المسجد الجامع تعديلات وأصلاحات وترميمات معمارية عديدة شملت معظم أروقته[١] بالاضافة إلي الميضأة والمئذنة الحديثة ورغم تبدل معظم وحداته وعناصره إلا أنه مازال يشتمل على وحدات وعناصر معمارية فاطمية أصلية

الوصف المعماري للمسجد : (شكل– ٦)

تخطيط المسجد مستطيل يبلغ قياسه ٨٢م x ٦٠م واجهته الرئيسه هي الشمالية وتضم هذه الواجهة العناصر الوحدات والعناصر الأصلية في المسجد .

المدخل الرئيس : (لوحة– ٥)

يتوسط المدخل الواجهة الشمالية للجامع من النوع البارز عن سمت الواجهة عبارة عن كتلتين بارزتين على الجانبين مسقط كلاهما مستطيل قياسه٨.٥ x ٣x ٩ م ويربط الكتلتين من أعلى عقد حدوة فرس بإتساع ٤ م ويؤدي إلي دهليز (ممر)يغطيه قبو وينتهي بفتحة باب يعلوه عتب ثم عقد عاتق ويتوصل من هذا الباب لداخل الجامع .

يكتنف فتحة الباب المطلة على الجامع دخلتان يعلو كلاهما عقد حدوة فرس يعلوهما دخلتان ثم عقد نصف دائري ، وفي طرفي الواجهة الشمالية كتلتان بارزتان يبلغ طولهما ٧.٨ متر وهما عبارة عن جزءين باقيين من قاعدتي مئذنتين أصليتين ركنيتين ،أنشئتا مع بناء الجامع لكنهما تهدمتا[٢] .

---

[٣] " فردم في البحر مقدارها وأدخله في المدينة فاتسعت والجامع الأعظم الآن والدار المعروفة في القديم بدار المحاسبات من جملة ما ردم في البحر" ؛ **التجاني** ، الرحلة ، ص ٣٢٣.

[١] قدم **Lezine** في دراسته الوافية عن جامع المهدية اربع مخططات للمسجد محددًا الاضافات في كل مرحلة

[٢] نجد لهما ما يماثلهما في الواجهة الغربية لجامع الحاكم بأمر الله في مدينة القاهرة .

المسجد من الداخل :

يؤدي الباب إلي الرواق الشمالي وهو عبارة عن سقيفة تغطيها أقبية متقاطعة وتطل على صحن الجامع ببائكة من ١٣ عقد ويبدو بوضوح عمق القطاع الشرقي على يمين الداخل من القطاع الغربي (من ضمن التعديلات حيث ان مخطط المسجد زمن عبيد الله يوضح انه يوجد حول الصحن من الجهات الشمالية والشرقية والغربية رواق مكون من بلاطة واحدة)

صحن الجامع :

تخطيطه مستطيل الشكل ،قياسه ٣٥x٥٠ م ،ويطل عليه من الجانب الغربي رواق ببائكة من ٩ عقود محموله على دعامات حديث البناء ،ومغطى بأقبية متقاطعة .

مقدم الجامع :

أكبر الاروقة ويشغل مساحة مستطيلة قياسها ٣٠x ٢٣ م،ويكتنف الرواق من الجانبين فناءان مكشوفان ويتكون الرواق من تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة [١] (الرواق حديث) ، ويشتمل جدار القبله على محراب تشير كتابات إلي تجديده ١٣٣٤هـ/١٩١٥م وخلفه جدار القبلة الأصلي والمحراب الأصلي للجامع .

المحراب : (شكل–٧)

قدم **ليزين** صورة للمحراب الأصلي للجامع ،وعقد كريسويل مقارنة بينه وبين محراب جامع صفاقص محاولة منهما للوصول لشكل المحراب الأصلي[٢] وهو عبارة عن حنية يبلغ أتساعها ٢ متر وعمقها متر زُخرف قطاعه السفلي بقنوات غائرة تتصل بينها ضلوع بارزة وتعلو هذه الضلوع طواقي صغيرة مفصصه في هيئة الصدفة تتكون من خمسة فصوص أو عشرة بالتناوب على التوالي ،ويوجد ركنان مرتدان يكتنفان حنية المحراب ،القطاع العلوي من المحراب عبارة عن نصف قبة .

---

[١] قدم **البكري** وصفًا يشير إلي ان الجامع يتكون من سبع بلاطات

[٢] **Creswell**, op.Cit., P. 7

وفي أطار الوصف نستطيع ان نحدد العناصر الفاطمية الأصلية في المسجد ونحصرها في: الواجهة الغربية،المدخل الرئيس البارز[١]،جدار القبلة القديم ،المحراب القديم.

٣-١-٢ مصلى العيد :

أوردت المصادر التاريخية عدة إشارات إلي مصلى العيدين بثغر المهدية حيث ذكر التيجاني في خصوص أحداث الصراع بين القائم بن المهدي وأبي يزيد بن كيداد "وصل إلي مصلى المهدية فلم يبق بينه وبين المهدية إلا رمية سهم حسبما أنذر به المهدي عند بناء سورها "[٢] ؛ مما يعني أن بناء مصلى العيد في المهدية كان خارج أسوارها على بعد رمية سهم وقد جرت العادة بإنشاء مصلى العيد عادة في المدن الإسلامية خارج أسوارها حتى لا تشغل جزءا من المدينة التي تحيط الأسوار و بخاصة أنها لا تستخدم إلا مرتين في العام لصلاة عيد الفطر و عيد الأضحى وأحيانا لصلاة الأستسقاء .

٣-٢ المنشأت المدنية:

٣-٢-١ القصور:(شكل- ٨)

تابع عبيد الله المهدي إنشاء المنشأت وكانت قصور المهدية نواة هذه المنشأت وتكونت تلك القصور من قصر عبيد الله المهدي وله باب غربي[٣]ويطل على

البحر[١]وزينه بطيقين الذهب[٢]ولي عهده في الجهة الشرقية ،ويقع بين الميدان والجامع وكان يفصل بينهما ميدان للاستعراضات[٣]،وذات التخطيط تكرر في مدينة القاهرة ،وقد أشار

---

[١] جرت العادة بإنشاء مداخل المساجد الجامعة قبل ذلك في مستوى سمت الواجهات وكان ظهور هذا المدخل البارز لأول مرة في عمارة هذا الجامع ثم ظهر في جامع الحاكم ٣٨٠- ٤٠٣هـ /٩٩٠-١٠١٣م،الأقمر ٥١٩هـ/١١٢٥م ، الصالح طلائع ٥٥٥هـ/١١٤٠م .

[٢] **التجاني** ،الرحلة،ص ٣٢٣.

[٣] **عبد الحميد** ، سعد زغلول ،تاريخ المغرب ، ج٣ ، ص ٩٦ .

[١] **العمري** ،امال، العمارة في العصر الفاطمي ،ص٣؛ **زبيس** ،ص ٦١؛ Creswell; P. 3

[٢] **ابن حماد** ،اخبار ملوك بني عبيد ،ص ٤٢ .

[٣] **عبد الوهاب** ،حسن حسني ،ص ص ٢٠٥-٢٠٦

البكري إلي هذه المباني تتسم بالسرية أي أن فيها عناصر ووحدات أهتم بجعلها غير معروفة كالسراديب[٤] كذلك نوه ابن حوقل لارتفاع المباني وأكد على الأمر ناصر خسرو .

٣-٢-٢ الدور:

بُنيت بالمهدية دُور للحاشية ورجال الدولة[٥]،أكد **أبن حوقل** على نظافة و جمال بيوت المهدية بقوله" نظيفة المنازل والدور"[٦]،ونوه **الإدريسي** لحسن مبانيها بقوله"ولها حسن لطيفة نظيفة المنازل"،[٧] ولم تقدم حتى الأن دراسة أثرية حول دور المهدية وربما كانت تشبه منازل القاهرة [٨] .

٣-٢- ٣ دار الصناعة :(لوحة-٦)

حدد **ابن الأثير والمقريزي** موضعها[٩]ونوه **البكري** لبعض ملامحها المعمارية [١٠]وأظهر **ابن عذاري** أعجابه الشديد بصناعة السفن بدار الصناعة[١١]وأكد **التجاني** على ما أورده **البكري**[١]مما يفيد ان هذه الدار ظلت عامرة لعدة قرون،ويكشف وصف البكري مساحتها المتسعة [٢]،وضخامة حجم الأعمال التى كانت تتم فيها واشتملت الدار على مبنيين لحفظ الآلات التي استخدمت في صناعة الاسطول الفاطمي وإصلاحه وكانا بتخطيط مستطيل يغطيهما أقبية طولية مما يؤكد ضخامة أنتاج الدار لتكفي أحتياجات

---

(٤)) **البكري** ، المغرب، ص ٣٠ .

(٥)) **زبيس**، الأثار الاسلامية في تونس ، ص ١٢ .

(٦)) **ابن حوقل** ، صورة الأرض ، ص ٧١ .

(٧)) **الإدريسي** ، نزهة المشتاق ، ج.١،ص ٢٨١ .

(٨) **Djelloul** (Neji), Mahdia capital des Fatimides ,Sousse , Contraste Editions , 2003; "Histoire topographique de Mahdia a l' époque Ottomane " Actes du 2eme seminaire sur la mer .CERS, Tunis, 2001 .

(٩) **ابن الأثير** ،الكامل ، ج.٦،ص ١٥١، ؛ **المقريزي** ، اتعاظ الحنفا، ج.١، ص ١٠٢

(١٠)) **البكري** ،المغرب ،ص ٣٠ ؛ ؛ **زغلول** ،ج٣،ص ١٩٦، . **Creswell**, P ., 3 , **Gautier**, P., 321

(١١) **ابن عذاري** ، البيان المغرب ،ج.١، ص ١٥١.

(١) ذكر **التجاني** ،انها من عجائي الدنيا ،الرحلة ، ص ص ٣٢٢- ٣٢٣.

(٢)) راجع حاشية (١) ص ٤١ ، **عثمان** ، محمد الستار ، ٢٠٠٦م،العمارة الفاطمية ، ج.١ ،دار القاهرة .

الاسطول الذي صُنع في المهدية وتكون من عدة قطع هي الشواني[٣]، والحراقة[٤]، والطريدة[٥]؛ والجدير بالذكر في اطار أهتمام عبيد الله المهدي بالصناعات تشيده لدار الطراز لصناعة المنسوجات[٦]، ودار الضرب لسك العملة[٧]

٣-٢-٤ الميناء: (لوحة-٧)

على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة في نصفه الشرقي[٨]،نقره عبيد الله المهدي في الصخرة المطلة على ساحل البحر بمساحة ٧x١٢٦ متر ولا يزال باقيًا إلي اليوم[٩] ويحدثنا **البكري والحموي** في وصفهما لمرسى المهدية بقولهما "مرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبًا وعلى طرف المرسى برجان بينهما سلسلة فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدها كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم"[١٠]،وأوضح **التجاني** الغرض الذي أنشأ المهدي المرسى من أجله بقوله"جعله حصنًا لمراكبه الحربية"،[١]وفي الوقت الحاضر لم يبقْ لنا من مخلفات البرجين إلا قاعدتهما ويتخللهما في صلب البناء على اسطوانات رخامية مطروحة أفقيًا[٢]

وعن الرؤية المعمارية لأسلوب الإنشاء بالنقر فهو أسلوب عرفه المصريون القدماء ونفذوا به المعابد والمقابر لكن استخدامه في حفر مرسى للسفن استخدام مبتكر لأن الصخر

---

[٣] من السفن الحربية الكبيرة ،وتجدف بمائة واربعين مجدافًا و تشحن بالجنود ؛ **ابن الفرات** ، تاريخ ابن الفرات ، مج.٤ ، تحقيق: حسن محمد الشماع ،ط.١،جامعة البصرة ،١٩٦٧م، ص٨٣،حاشية ٢٥١.

[٤] تستخدم لحمل الاسلحة النارية ؛**الأصفهاني**، الفتح القسي في الفتح القدسي ،تحقيق: محمد محمود صبيح ،القاهرة :١٩٦٥ ،ص ٣٨٨.

[٥] تستخدم لحمل الفرسان والخيول وتسع الاربعين فرسًا ؛ **ابن مماتي** ، قوانين الدواوين ،ص ٣٣٩.

[٦] **القلقشندي** ،صبح الأعشى ،ج.٥، ص ١٠٢ .

[٧] **Lavoix**, Catalogue Des Manmales Musulm T. II, Paris, PP 34- 36.

[٨] **زغلول** ، تاريخ المغرب ،ج.٣، ص ٩٦.

[٩] **العمري** ، آمال ، العمارة في العصر الفاطمي، ص ٥.

[١٠] **البكري** ، المغرب،ص ٣٠؛ **الحموي**،ج.٥،ص ٢٣١؛ **مجهول** ، الاستبصار،ص ١١٨.

[١] **التجاني** ،الرحلة ،ص ٣٢٢.

[٢] **زبيس** ،الأثار الاسلامية في تونس ، ص ٦١ .

الطبيعي يقوى على الماء وأمواجه كونه نتاج البيئه الطبيعة للمكان ؛ أما البرجين الممتد بينهما سلسلة يتيح مراقبة البحر من جهة المرسى ويؤمن السفن وقد عرض بعض الباحثين أراء ترجع ميناء المهدية لعصور سابقة على الاسلام[٣].

٣-٢-٥ الأسواق :

انتعشت حركة التجارة بالمهدية فحفلت بالأسواق[٤] والدكاكين[٥]،وكانت لكل طائفة من التجار سوق يمارسون فيها نشاطهم التجاري ولإرباب الحرف شوارع معلومة،وكان التجار يفدون ببضائعم من سائر البلاد لبيعها بأسواق المهدية وقد حدثنا **الإدريسي** عن الأمر بقوله "كانت فيما سلف المسافر إليها كثير والبضائع إليها مجلوبة من سائر البلاد والأقطار والأمتعة والمتاجر نافقة، وفيها بائعة" [٦]

٣-٢-٦ المنشأت المائية :

كان من أهم محاور تخطيط المدن تزويد الحواضر بالماء لذا حرص عبيد الله المهدي على توفير مصادر الماء وتسهيل توصيله لثغر المهدية وأكدت المصادر هذه الحقيقة "جلب الماء الجاري إلي مدينته من قرية ميانش وهي على مقربة من المهدية في أدل وأقداس ويصب في المهدية في صهريج داخل المدينة عند جامعها ،ويرفع من الصهريج إلي القصر بالدواليب(السواقي) ،وكذلك يسقي أيضًا من قرية ميانش من الآبار بالدواليب(النواعير) يصب في محبس تجري منه الماء إلي تلك القناة"[١] يتضح من وصف **البكري** ان الماء يرفع بواسطة السواقي ويجري في قناة تنتهي إلي مواجل وجُباب وصهاريج لتخزينه وبلغ عدد المواجل في المهدية [٢]٣٦٠ ماجل مما يشير إلي وجود منظومة من المنشأت المائية تمثل شبكة مياه متكاملة تبدا من المصدر وتنتهي إلي المنشأت المعمارية في الثغر.

---

[٣] **Guerin**; P. 325.

[٤] **الحموي** ، معجم البلدان ،ج .٥، ص ٢٣١.

[٥] **الإدريسي** ، نزهة المشتاق ، ج .٢ ، ص٢٨١ .

[٦] **الإدريسي** ، نزهة المشتاق ،ج.٢ ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

[١] البكري،المغرب ،ص ٣١ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج.٥ ،ص ٢٣١ .

[٢] البكري ، ص ٣١؛ الحموي ، ج.٥، ص ٢٣١.

٣-٢-٧ الأرباض ـ زويله :(شكل- ٩)

كان للمهدية عدة أرباض من أهمها زويلة شيده عبيد الله المهدي يفصل بينه وبين المهدية ميدان وأحاط زويله[٣]سور وأبواب ونقل إلي زويله العامة للخصوصية الملكية لثغر المهدية ، ونوه **الحموي** من الحكمة من وراء فصل سكن العامة في مدينة قائمة بذاتها عن المهدية مقر الخلافة مبررًا ان المهدي أسكن العامة في زويله ،وكانت دكاكينهم وأموالهم في المهدية وبزويله مساكنهم ،فكانوا يدخلون نهارًا للعمل ويخرجون ليلا إلي أهاليهم فقيل للمهدي إن رعيتك في عناء من هذا ،فقال لكن أنا في راحة ،لأني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم،وفي النهار أفرق بينهم وبين أهاليهم فآمن غائلتهم[١] ،ولم يمنع هذا من أن ينشئ عبيد الله المهدي بزويلة أسواق تكفي حاجات زويلة وفنادق للتجار الغرباء [٢] مما يؤكد على التكامل العمراني بين زويلة والمهدية وأن زويلة كانت كالربض للمهدية [٣].

النتائج :

– كان عبيد الله المهدي ثاقب النظر في اختيار موضعًا حصينًا لثغره ومؤمن طبيعيا من ثلاث جهات .

– خُطت المهدية على الرسم الملكي فجاء تخطيطها لحماية الحاكم الذي يتخدها مقرًا له ولحاشيته بالأساس.

– حُسن استغلال المنشيء للطبيعة الساحلية للثغر وتكيفها لإنشاء مرسى ودار للصناعة أسهمت بظهور الفواطم كقوة بحرية على مسرح الأحداث في البحر المتوسط .

– وضع تخطيط وعمارة المهدية أسس سمات تخطيطية ومعمارية ظهرت أثارها في تخطيط وعمارة مدينة القاهرة ،وبعض مدن المغرب لاحقًا .

---

[٣]زويلة بلدان أحدهما زويلة السودان بين السودان وإفريقيه وزويلة طرابلس بين الغرب والقبلة ؛الحموي،معجم البلدان ،ج.٣، ص ١٦٠.

[١] **الحموي** ، ج.٥ ، ص٢٣١.

[٢] **التجاني**، الرحلة ، ص ٣٢٤ .

[٣] **الحموي** ، ج.٥ ، ص ٢٣١.

– وضوح الصبغة الدفاعية في عمارة المدينة وهندستها في صلابة البناء، مداخل الحصون، والأقبية الطولية والمتقاطعة من الاحجار و الدبش والمفتقدة للأغربة والسقوف الخشبية، ومن ثمة فإن لهندسة تخطيط ثغر المهدية صبغة وظيفية عملية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا ـ المصادر :

–ابن الأبار،(أبي عبد الله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)الحلة السيراء،ج.١ ،تحقيق :حسين مؤنس ،ط. ١ ،القاهرة .

–ابن الأثير، (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري)1978م ، الكامل في التاريخ ،ج٥، دار للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت .

– ابن الازرق،(محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي ، ت ٨٩٦هـ/١٤٩١م) ،بدائع السلك في طبائع الملك،١٩٧٧م،ج. ٢،تحقيق: محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب .

–الأصطخري،(أبو القاسم إبراهيم بن محمد٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) ١٩٦١م،المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحيني،القاهرة .

–ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي، ت. ٧٢٦هـ) ، ١٩٧٧م ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، الرباط

–ابن الرامي البنَاء(أبوعبدالله محمد بن إبراهيم اللَخمي)،١٩٩٩م،الإعلان بأحكام البنيان ، تحقيق:فريد بن سليمان ،مركز النشر الجامعي ،تونس .

–ابن العديم، (عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، د.ت.) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ج ،١ د. ط . دارالفكر للطبع والنشر والتوزيع ،بيروت .

–ابن الفرات(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) ١٩٦٧م ، تاريخ ابن الفرات ، د.ت.، مج.٤ ، تحقيق: حسن محمد الشماع ،ط.١،جامعة البصرة .

–ابن حماد (محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي أبو عبد الله ٦٢٨هـ – ١٢٣٠م، د. ت) ،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق عبد الحليم عويس وأخرين ، دار العلوم ،الرياض

–أبن حوقل(أبو القاسم محمد بن علي الموصلي أحمد النصيبي ٣٦٧هـ–٩٧٧م)،١٩٧٩م،صورة الأرض، بيروت .

–ابن حيان ،(بن خلف بن حيان الاندلسي أبو مروان ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، ٢٠٠٦م ،المقتبس، من أخبار الاندلس ،تحقيق : صلاح الدين الهواري، نشر المكتبة العصرية ،بيروت .

–ابن خلدون ،(عبد الرحمن بن محمد ابن خَلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ت 732 هـ – ١٣٣٢ م)١٩٧٩ م ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،ج٤ ، بيروت .

–ابن دريد ،(أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت ٣٢١ هـ) جمهرة اللغة ، تحقيق :رمزي منير بعلبكي ، ط٤.١،ج١، دار العلم للملايين ، بيروت .

–ابن سيده ، (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت ٣٩٨هـ– ١٠٠٧م) ٢٠٠٠م ،المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ط.١ ،ج٥، دار الكتب العلمية ، بيروت .

–ابن عذاري (أبو عبدالله محمد المراكشي ،ق.٧ هـ.) ١٩٤٨م، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج.١ ،تحقيق :ليفي بروفنسال، كولان ، ليدن .

–ابن فارس ، (أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين ، ت ٣٩٥ هـ) ١٣٩٩ هـ– ١٩٧٩ م ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ج ١ ، د.ط. ، دار الفكر

ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن يعقوب ، ت ٣٩٠هـ) ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ، تجارب الأمم و تعاقب الهمم ، تحقيق: أبو القاسم إمامي ، ط.٢ ، ج١، سروش ، طهران

–ابن مماتي،(الأسعد الخطير شرف الدين أبي المكارم أبي سعيد ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ،١٩٤٣م ، قوانين الدواوين ، تحقيق: عزيزسوريال عطيه ،الجمعية الملكية الزراعية ،القاهرة.

–ابن منظور، (محمد بن مكرم بن علي أبوالفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت ٧١١ هـ) ١٤١ هـ، لسان العرب ، ط.٣، ج٤ ، دار صادر ، بيروت.

–أبو الفدا،(عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)١٨٤٠م، تقويم البلدان ،باريس.

–إدريس (عماد الدين ٨٧٢هـ/١٤٨٨م)، ١٩٨٥، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ،تحقيق: محمد اليعلاوي ،دار الغرب الإسْلامي ،بيروت .

–الإدريسي(أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز ت ٥٦٤هـ/١١٦٨م) نزهة المشتاق في أختراق الأفاق ،ج.١،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة.

–البكري (أبو عبيد الله بن أبي مصعب بن عبد العزيز بن أبي زيد محمد ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ١٨٥٧م المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ،مكتبة المثني، بغداد.

–البلاذري ،(أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ، ت ٢٧٩هـ- ٨٩٢م) ١٩٨٨م ، فتوح البلدان ، دار الهلال ، بيروت .

–التجاني ،(أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ت ٧٠٦-٧٠٨ هـ)، ١٩٨١ ،رحلة التجاني تونس طرابلس ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا – تونس .

–الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ت ٥٧٤– ٦٢٦ هـ) ١٩٧٩ م ،معجم البلدان ، ج٣، دار صادر ، بيروت .

–الحميري،(أبو عبدالله بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ١٩٨٤م، الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق:إحسان عباس ،ط.٢، بيروت .

–السَراج ،(محمد بن محمد الأندلسي ت ١١٤٩هـ)، ١٩٧٠م ،الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج.١،ق. ٤، تحقيق: محمد الحبيب الهيله ،تونس .

–الطبري ، (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أ بو جعفر الطبري، ت ٣١٠هـ) ١٣٨٧هـ ، تاريخ الرسل والملوك ، ط. ٢، ج٣، دار التراث ، بيروت

–العماد الأصفهاني، (عماد الدين) ١٩٦٦م،الفتح القسي في الفتح القدسي،تحقيق: محمد محمود صبيح ،القاهرة

–القلقشندي (شهاب الدين أبي العباس أحمدبن علي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ١٩١٩م ، صبح الأعشي في صناعة الانشا ،ج.٥،دار الكتب المصرية ، القاهرة .

–المقدسي ،(شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م)، ١٩٦٧م أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،نشر دي خوريه ،ليدن.

–المقريزي،(أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي ، ت ٨٤٥هـ) ١٩٤٧ م،أتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء،ج١، تحقيق: جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربي، القاهرة.

–المسعودي (أبوالحسن علي بن حسين بن علي ،٢٨٣–٣٤٥هـ/٨٩٦–٩٥٦م،د.ت) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٣،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الفكر ،بيروت

– النعمان(القاضي نعمان بن محمد ،ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)، ١٩٧٥م أفتتاح الدعوة ،تحقيق ؛فرحات الدشراوي، تونس.

–الهروي، (تقي الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي، د. ت) التذكرة الهروية في الحيل الحربية (.د .ط.)مكتبة الثقافة الدينية .

– قدامه ،(قدامه بن جعفر بن قدامه بن زياد البغدادي ، ت. ٣٣٧ هـ) ١٩٨١م الخراج وصناعة الكتابة ،ط.١ ،دار الرشيد للنشر ، بغداد .

– مجهول ، (من أهل القرن السادس الهجري) ١٩٥٨ م،الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد ، جامعة الإسكندرية .

ثانيًا– المراجع الحديثة :

– الجعفري، أميرة بنت أحمد الجعفري ،٢٠٠٦م ،سياسة الدولة الأموية في إدارة الثغور الأندلسية ١٣٨هـ–٤٢٢ ،مجلة المؤرخ العربي ،عدد ١٤، أتحاد المؤرخين العرب ،القاهرة .

– الجوهري ، يسري ، ١٩٨٤ م، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الاسكندرية .

–الدشروي،فرحات،الخلافة الفاطمية بالمغرب٢٩٦–٣٦٥هـ/٩٠٩–٩٧٥م، ١٩٩٤م، التاريخ السياسي والمؤسسات ،السلسلة الجامعية ،ترجمة حمادي الساحلي، ط.١، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

– الرماح ، مراد ،١٩٧٧ ، المواقع والمعالم بالبلاد التونسية ، شهادةالتعمق في البحث ، دراسة مقارنة ،تونس.

ـــــ ،١٩٩٦ ملاحظات حول تخطيط مدينة المهدية وعمارتها في العهد الإسْلامي المبكر ، سلسلة مجلة إفريقية ، عدد ١٤ ،المعهد الوطني للتراث ، وزارة الثقافة التونسية ، تونس .

– الصلابي، علي محمد محمد ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، تاريخ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ،ط.٢، ،ج١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.

– العبد الغني،عبد الرحمن محمد ، 1990،الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية ٤٠٩– 339 هـ/ 660 – ٩٥٠م، حوليات كلية الأداب ،مج. ١١ ،عدد ٧١ ،مجلس النشر العلمي ،ج.الكويت .

– العلي ،صالح أحمد، ١٩٨٣م، امتداد العرب في صدر الإسْلام ،ط.٢، مؤسسه الرسالة ، بيروت .

– العمري ،امال،١٩٧٦،العمارة في العصر الفاطمي ،محاضرات قررت على طلاب كلية الأثار،جامعة القاهرة .

– الفقي،عصام الدين عبد الرووٴف،(د.ت.) تاريخ المغرب و الاندلس ،مطبعة نهضة الشرق،جامعة القاهرة .

–اليوزبكي،توفيق سلطان،١٩٨٨م،الثغور ودورها العسكري والحضاري،وزارة التربية والتعليم العالي،ط.٣،بغداد

– إبراهيم ،حسن؛ شرف، أحمد طه، ١٩٤٧م ،عبد الله المهدي ، النهضة المصرية، القاهرة .

– إبراهيم ، سنوسي يوسف، ١٩٨٢ م، زناته والخلافة الفاطمية ،ط.١، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة .

– جواد علي(جواد)٢٠٠١م ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسْلام ، ط. ٤، ج٩، دار الساقي .

– دياب ، صابر محمد، ١٩٧٣،سياسة الدولة الإسْلامية ، ط.١ ، عالم الكتب، القاهرة .

– زبيس، سليمان مصطفى ، ١٩٦٣م ،بين الاثار الاسلامية في تونس ، منشورات دار الثقافة ، تونس .

– صبحي،الصالح ، ١٩٨٧ م ،النظم الإسْلامية ، ط.٤، دار العلم ، بيروت .

– عبد الجواد ، توفيق أحمد ، ١٠٧٦م ،معجم العمارة وإنشاء المباني مؤسسة الأهرام ،القاهرة .

– عبد الحميد، سعد زغلول ،١٩٧٩، تاريخ المغرب العربي ،ج٢، منشأة المعارف، الإسكندرية .

– عبد الوهاب، حسن حسني، ١٩٦٨م، تاريخ تونس ،ط. ٤، تونس .

– عباس،إحسان،١٩٨٨م، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ،ج.٢، .ط 3 ،دار الغرب الإسْلامي، بيروت.

– عثمان ، محمد ؛الستار ، ٢٠٠٦م، موسوعة العمارة الفاطمية ، ج.١ ، دار القاهرة .

– محمود،حسن أحمد، ١٩٩٠ م، تاريخ المغرب والاندلس، مكتبة الثقافة ، القاهرة

– معلوف ،لويس معلوف ،(د.ت)،المنجد في اللغة و الأعلام،ط. ١٩،المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

– مؤنس، حسين ، ١٩٩٠م ، تاريخ المغرب وحضارته ، مج.١،ط.١،الدار السعودية للنشر.

– نوبار ، رابح ، ١٩٨١م، المغرب العربي ،ط.٢ ،الجزائر.

ثالثًا– المراجع المعربة :

–مَامْول كَربخَالْ ؛إفريقيا(١٩٨٨–١٩٨٩م) ،ج.٣ تعريب : محمد حجي ،محمد الأخضر ،محمد زنيبر، أحمد التوفيق ، أحمد نبجلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة ،دار نشر المعرفة ،الرباط

– ليسترنج كي، د.ت. ، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكروكيس عواد(د .ط.) الكويت :مؤسسة الرسالة

رابعًا– المراجع الاجنبية :

Creswell; (K.A.C.),1952, The Muslim Architecture of Egypt, Oxford.

–

–Dark Hill , Luven , Islamic Architecture in North Africa , London.

–David Bramoulle,2019, Les Fatimides et la mer (909–1171),Islamic History and Civilization, Studies and Text, Editoriol Board , Seloastion Gunther, Brill.

–Djelloul (Neji),٢٠٠١, Mahdia capital des Fatimides , Sousse , Contraste Editions , 2003; “Histoire topographique de Mahdia a l’ époque Ottomane “ Actes du 2eme seminaire sur la mer .CERS, Tunis.

–Gautier(E .F.),1927 ; Les Siecles Obscurs du Maghreb , Paris.

- Hannezo (C.), 1907 et 1908 “Mahdia; notes historiques”, R.T.

- Lavoix , Catalogue Des Manmales Musulm T. II, Paris

–Lezine, Mahdiya , 1965, Rechereches D’Archealogue Islamique, Klimcksiech.

- Marcais, Al Mahdiya Artile in the Encyclopeadia of Islam , Tome III, 19

- Marcais, 1946, L’Art de L’Islam , Paris.

–Marcais (G.), 1926 , Manuel D’ Art Musulman , Tunisie , Algérie , Maroc , Espagne , Sicile, V.I. Paris.

- ROY , (Bernard)1915,”Inscriptions arabes de Mahdia” , Revue Tunisienne , №122.

الاشكال:

شكل– ١

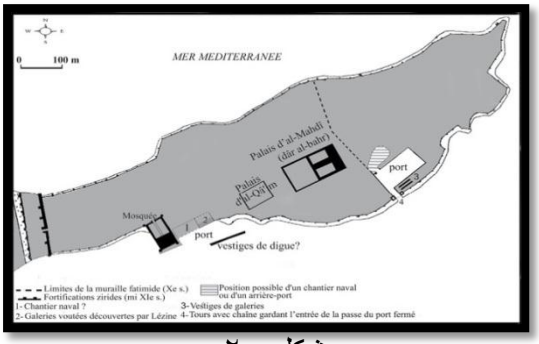

شكل– ٢

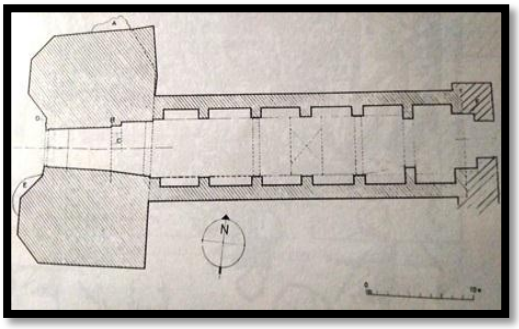

شكل – ٣

شكل– ٤

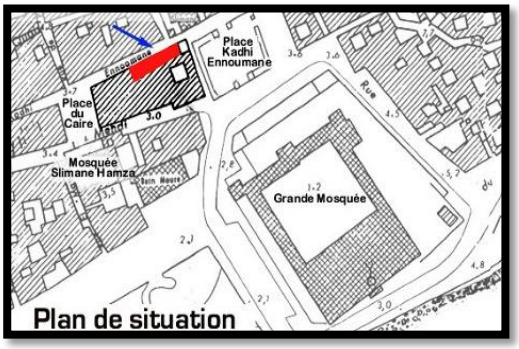

شكل– ٥

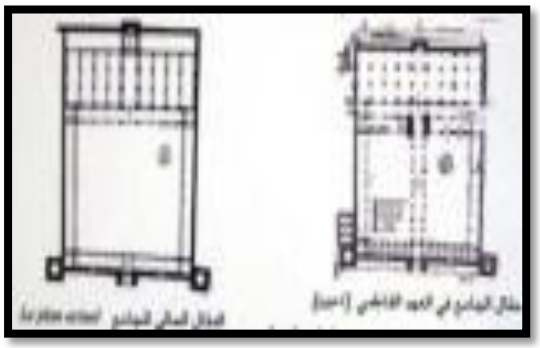

شكل – ٦

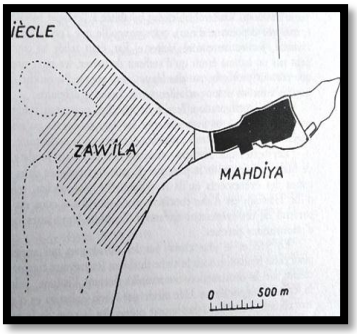
IÈCLE
ZAWÎLA
MAHDİYA
0 500 m

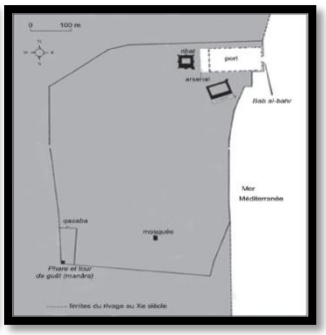
0 100 m
port
arsenal
Bab al-bahr
Mer Méditerranée
qasaba
mosquée
limites du rivage au Xe siècle

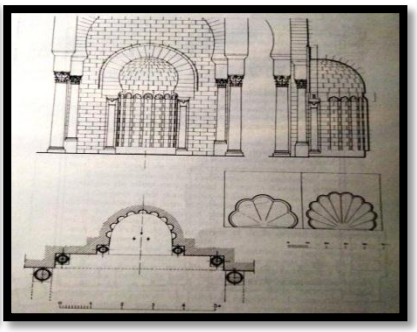

شكل –٧ شكل– ٨ شكل– ٩

اللوحات:

لوحة– ١ بقايا السور الغربي

لوحة – ٢ السقيفة الكحلاء

لوحة – ٣ منشأت ثغر المهدية

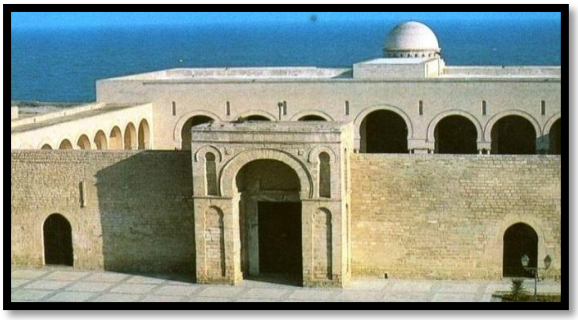

لوحة – ٤ الجامع الكبير في المهدية

لوحة – ٥ المدخل الرئيس للجامع

لوحة – ٦ بقايا دار الصناعة

لوحة – ٧ ميناء المهدية (الصور للباحثة)